

سمير





على أربع قوائمَ

الدّلفين قاروريّ الأنف

النّصّ الفرنسيّ: مروان الأحدب
تعريب: إليسار الصّائغ الأسمر
تنسيق النّصّ العربيّ: شربل شربل
التّصميم الفنّيّ: كارين معوّض
خطّ العناوين: راغدة ميلع
البحث عن الصّور: داڤيد پانفور



لِقاءٌ لا يُنسى

بَعدَ ظُهرِ أَحدِ أَيّامِ الصَّيفِ الجَميلَةِ، أَبحَرَ مَركَبٌ شِراعِيٌّ بِهُدوءٍ عَلى المَوجِ، وَعَلى مَتنِهِ، أَولادٌ يُحاوِلونَ أَن يَستَفيدوا مِن آخِرِ أَيّامِ العُطلَةِ. لكِنَّ القُلوبَ شارِدَةٌ... مُراجعاتٌ، فُروضٌ، مُسابَقاتٌ؛ فَالعَودَةُ المُقبِلَةُ إلى المَدرَسَةِ تَشغَلُ النُّفوسَ كُلَّها.

فَجأَةً، سَمِعَ أَحدُهُم يَصرُخُ: «تَعالَوا انظُروا!». وَعَلى الفَورِ، هَرَعَ الجَميعُ، وَالقُلوبُ تَخفُقُ، إلى مُقَدَّمَةِ المَركَبِ: كانَ قَوامٌ رَمادِيٌّ يَتَزَحلَقُ عَلى المَوجِ بِأَناقَةٍ وَقُوَّةٍ؛ كانَ يَقفِزُ وَيَرفَعُ ذَيلَهُ وَيُسابِقُ المَركَبَ، فَأَثارَ ذلِكَ ذُهولَ الأَولادِ، وَسُرعانَ ما غابَتِ المَدرَسَةُ عَنِ الأَذهانِ... أَخرَجَ الدُّلفينُ رَأسَهُ مِنَ الماءِ وَاستَدارَ نَحوَهُم. كانَ فَمُهُ المَمدودُ يوحي بِأَنَّهُ يَبتَسِمُ. تَبادَلَ وَالأَولادَ النَّظَراتِ، وَيَبدو أَنَّهُم تَفاهَموا مَعًا. ثُمَّ ذَهَبَ يَنضَمُّ إلى قَطيعِهِ، تارِكًا في ذاكِرَةِ الصِّغارِ ذِكرى لَن يَنسَوها بِسُهولَةٍ.

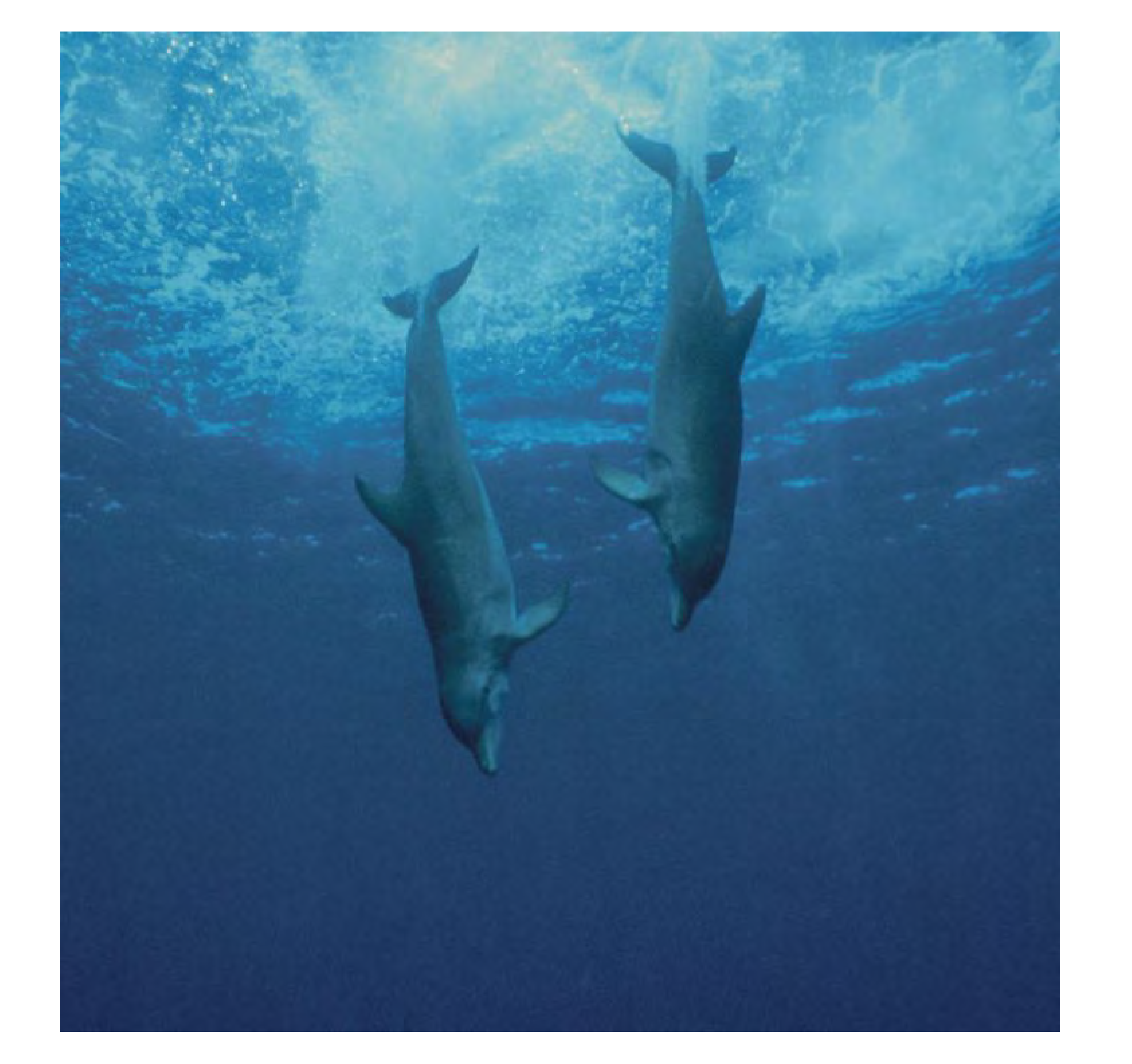


إنَّهُ القَطيعُ بِكامِلِهِ الَّذي يُلاعِبُ السُّفُنَ أَحيانًا!



فيما يَقومُ الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ بِقَفزاتٍ خارِجَ الماءِ، يَستَغِلُّ ضُعفَ مُقاوَمَةِ الهَواءِ لِكَي يَزيدَ سُرعَتَهُ: يُقالُ إنَّهُ يَشُبُّ.

إنَّ الحَيَوانَ الَّذي رَأَوهُ فَريدٌ. وَهوَ الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ، أَكبَرُ الدَّلافينِ كُلِّها، وَرُبَّما أَذكاها. كَما يُعَدُّ غالِبًا، أَذكى الحَيَواناتِ بَعدَ الإنسانِ؛ مِن هُنا، هذا التَّفاهُمُ الغَريبُ ما بَينَ الجِنسَينِ، عِندَما يَلتَقِيانِ...



فِي البَحرِ، يَقومُ قارورِيُّ الأَنفِ بِكُلِّ شَيءٍ: إنَّهُ يَأكُلُ، وَيَنامُ، وَيَتَوالَدُ، وَيُرَبّي صِغارَهُ. غَيرَ أَنَّهُ لَيسَ سَمَكَةً، بَل مِنَ الثَّديِيّاتِ كَالإنسانِ، لا يَتَنَفَّسُ تَحتَ الماءِ، وَعَلَيهِ أَن يَصعَدَ إلى سَطحِ البَحرِ كُلَّ دَقيقَتَينِ أَو ثَلاثٍ لِكَي يَملأَ رِئَتَيهِ. وَهوَ كَالإنسانِ أَيضًا، اجتِماعِيٌّ جِدًّا. فَبِالنِّسبَةِ إلَيهِ، أَن يَكونَ لَدَيهِ أَصدِقاءُ هُوَ أَمرٌ جَوهَرِيٌّ!



كانَ جَدُّ قارورِيِّ الأَنفِ، مُنذُ خَمسينَ أَلفَ عامٍ، حَيَوانًا بَرِّيًّا، يَبلُغُ طولُهُ أَقَلَّ مِن مِترَينِ وَيَمشي عَلى قَوائِمِهِ الأَربَعِ.

عِندَما يَغطِسُ، يَستَطيعُ قارورِيُّ الأَنفِ أَن يَحبِسَ أَنفاسَهُ خِلالَ أَكثَرَ مِن عَشرِ دَقائِقَ.

الرِّفاقُ أَوَّلًا!



يَبتَلِعُ الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ طَعامَهُ مِن غَيرِ مَضغٍ.

تَعيشُ الدَّلافينُ قاروريَّةُ الأَنفِ دائِمًا ضِمنَ مَجموعاتٍ، في كُلٍّ مِنها أَربَعَةُ أَفرادٍ إلى سِتَّةٍ، وَهيَ مُنَظَّمَةٌ لِلغايَةِ. عِندَما تَكونُ صَغيرَةً، تَبقى مَعَ أُمّاتِها وَإناثٍ أُخرى بالِغَةٍ تَحميها وَتَهتَمُّ بِها. وَما إن تَكبُرُ قَليلًا حَتّى تَترُكَ هذِهِ العائِلَةَ الصَّغيرَةَ لِكَي تَنضَمَّ إلى أَفرادٍ شابَّةٍ مِثلِها. بَعدَئِذٍ، وَفي سِنِّ البُلوغِ، تَنفَصِلُ الإناثُ لِتُشَكِّلَ جَماعَتَها الخاصَّةَ، بَينَما تَنضَمُّ الذُّكورُ إلى مَجموعاتٍ أُخرى وَتَتَوَلّى قِيادَتَها.

تَجتَمِعُ هذِهِ المَجموعاتُ كُلُّها أَحيانًا، لِتُشَكِّلَ قُطعانًا كَبيرَةً. غَيرَ أَنَّ أَيَّ حَيَوانٍ مِنها لا يَنسى مُطلَقًا أَفرادَ مَجموعَتِهِ القَديمَةِ، لِأَنَّ الصَّداقَةَ لَدى الدَّلافينِ قاروريَّةِ الأَنفِ هِيَ شَيءٌ مُقَدَّسٌ. فَحينَما يَكونُ أَحَدُ الرِّفاقِ في مَأزِقٍ، لا يُترَكُ بِدونِ مُؤازَرَةٍ! وَإذا هاجَمَ

لَيسَ الأَمرُ صَعبًا، إنَّهُ يَأكُلُ ما يَعثُرُ عَلَيهِ حَيثُ يَكونُ: أَسماكًا، قِشرِيّاتٍ، وَكَما في الصّورَةِ، رَأسِيّاتِ أَرجُلٍ. ←



قِرشٌ دُلفينًا، يَتَدافَعُ أَصدِقاؤُهُ لِلدِّفاعِ عَنهُ. وَأَحيانًا، عِندَما يَفقِدُ فَردٌ مَريضٌ القُدرَةَ عَلى الصُّعودِ لِلتَّنَفُّسِ، تَحمِلُهُ الأَفرادُ الأُخرى إلى سَطحِ الماءِ بِرِفقٍ. وَلَقَد شوهِدَت كَذلِكَ دَلافينُ قارورِيَّةُ الأَنفِ تَقودُ أَنواعًا أُخرى مِنَ الحيتانِيّاتِ كانَت قَد جَنَحَت بِاتِّجاهِ الشّاطِئِ، لِكَي تُساعِدَها عَلى التَّمَكُّنِ مِنَ العَودَةِ إلى البَحرِ!

وَلكِنَّ الصَّداقَةَ تَبدو أَهَمَّ عِندَ الاِغتِذاءِ. لِأَنَّ الصَّيدَ لَدى قارورِيِّ الأَنفِ يَتِمُّ جَماعِيًّا. فَمَعًا، تَسبَحُ أَفرادُ القَطيعِ مَسافاتٍ بَعيدَةً لِإيجادِ الطَّرائِدِ المَرجُوَّةِ. وَإلى الأَمامِ بَعيدًا، يُرسَلُ اثنانِ أَو ثَلاثَةٌ مِنَ الأَفرادِ لِلاستِكشافِ. وَما إن تَرى شَيئًا طَيِّبًا حَتّى تُبَلِّغَ الأُخرى، فَتَنضَمَّ إلَيها سَريعًا. وَعِندَئِذٍ يَبدَأُ الصَّيدُ.



كَالإنسانِ، يَكونُ قارورِيُّ الأَنفِ أَحيانًا قاسِيًا، يَقتُلُ مِن غَيرِ رَغبَةٍ في الاغتِذاءِ. فَقَد يَكونُ خِنزيرُ البَحرِ هذا الَّذي جَنَحَ نَحوَ الشّاطِئِ ضَحِيَّتَهُ.



أَسنانُهُ الَّتي يَصِلُ عَدَدُها إلى مِئَةٍ، لا تَصلُحُ إلّا لِلإمساكِ بِالطَّريدَةِ.





مُتَسامِحًا، يَترُكُ قاروريُّ الأَنفِ السَّمكَ يَلتَصِقُ بِهِ لِيُسافِرَ مِن دونِ تَعَبٍ!

أَحيانًا، تُلاحِقُ الدَّلافينُ قاروريَّةُ الأَنفِ بِبَساطَةٍ طَرائِدَها حَتّى تُمسِكَ بِها. وَقَد تَقومُ بِالدَّورانِ حَولَها فَتَجِدُ الطَّريدَةُ نَفسَها سَجينَةً مِن دونِ أَيَّةِ وَسيلَةٍ لِلهَرَبِ. وَلَعَلَّ الأَكثَرَ إدهاشًا هُوَ عِندَما تَحصُرُ ضَحاياها بِصُخورٍ أَو بِشاطِئٍ، لِأَنَّها إِذّاكَ، حينَما تُباشِرُ الأَكلَ، تَقفِزُ خارِجَةً مِنَ الماءِ لِلإِمساكِ بِالسَّمَكاتِ المَذعورَةِ الَّتي تُحاوِلُ الفِرارَ قافِزَةً!



جِسمٌ يَتَحَرَّكُ وَيَتَكَلَّمُ

إنَّ جِسمَ الدُّلفينِ قاروريِّ الأَنفِ مُلائِمٌ بِصورَةٍ مُذهِلَةٍ لِلحَياةِ في قاعِ البَحرِ. فَهوَ طَويلٌ وَقَوِيٌّ وَشَكلُهُ المَمشوقُ يَسمَحُ لَهُ بِالتَّنَقُّلِ مِن دونِ جُهدٍ يُذكَرُ. لا سِيَّما أَنَّ جِلدَهُ الأَملَسَ وَالمَطّاطِيَّ، مُغَطًّى بِالتِواءاتٍ صَغيرَةٍ تُخَفِّفُ مُقاوَمَةَ الماءِ، وَهذا ما يَسمَحُ لَهُ بِتَخَطّي سُرعَةِ 30 كم في السّاعَةِ.



يَتَنَفَّسُ قاروريُّ الأَنفِ عَبرَ فُتحَةٍ تُدعى المَنفَسَ، تَقَعُ عِندَ قِمَّةِ الرَّأسِ، وَتُستَخدَمُ أَيضًا لِإصدارِ الأَصواتِ لِلتَّكَلُّمِ وَالاستِدلالِ.

عِندَما يَتَنَقَّلُ الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ أَو يَصطادُ، لا يَستَطيعُ فِعلِيًّا أَن يَعتَمِدَ عَلى عَينَيهِ: فَفي البَحرِ، وَعَلى عُمقِ أَكثَرَ مِن عَشَرَةِ أَمتارٍ، تَبدَأُ الظُّلمَةُ تَشتَدُّ. غَيرَ أَنَّ الحَيَوانَ دائِمًا ما يَعرِفُ إِلى أَينَ يَذهَبُ. وَمِن أَجلِ هذا، لَدَيهِ أُسلوبُهُ، فَهوَ يُصدِرُ أَصواتًا حادَّةً جِدًّا تَنتَشِرُ في الماءِ، وَما إِن تَصطَدِمُ بِصَخرَةٍ أَو بِطَريدَةٍ أَو بِأَيِّ شَيءٍ آخَرَ حَتّى تَرتَدَّ وَيَعودَ صَداها إِلَيهِ؛ هكَذا يَحصُلُ عَلى نَوعٍ مِن صورَةٍ بارِزَةٍ عَنِ المَكانِ مِن حَولِهِ.

لِكَي يَتَقَدَّمَ، يُحَرِّكُ قاروريُّ الأَنفِ ذَيلَهُ مِن فَوقُ إِلى تَحتُ. خِلافًا لِلأَسماكِ الَّتي تُحَرِّكُهُ مِنَ اليَمينِ إِلى اليَسارِ.

هذِهِ الأَصواتُ الَّتي يُرسِلُها الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ لِلتَّمَوضُعِ حادَّةٌ، حَتّى إنَّ الإنسانَ لا يَستَطيعُ سَماعَها. وَلكِنَّهُ يُرسِلُ أَصواتًا أُخرى يَستَطيعُ البَشَرُ إدراكَها وَهيَ تِلكَ الخَفيضَةُ الَّتي يَستَعمِلُها لِمُخاطَبَةِ أَمثالِهِ؛ وَهُنا نَراهُ بِالأَحرى ثَرثارًا، فَهوَ يَصفُرُ وَيَنبَحُ وَيَصِرُّ كَالبابِ وَيُخَشخِشُ كَالصَّنّاجاتِ! قَد تَبدو هذِهِ الأَصواتُ غَريبَةً جِدًّا وَلكِنَّها ذاتُ أَهَمِّيَّةٍ حَقيقِيَّةٍ، فَهيَ تَسمَحُ بِتَبادُلِ مَعلوماتٍ، وَبِتَشارُكِ انفِعالاتٍ، وَهكَذا تُقَوّي رَوابِطَ الصَّداقَةِ وَالدَّورَ الفَريدَ لِكُلِّ فَردٍ، لا سِيَّما أَنَّ لِكُلِّ مَجموعَةٍ لُغَتَها الخاصَّةَ وَأَنَّ لا دُلفينَ يُعَبِّرُ تَمامًا كَسِواهُ!



الطَّبَقَةُ المَرئِيَّةُ مِن جِلدِهِ المَطّاطِيِّ تَتَجَدَّدُ عِدَّةَ مَرّاتٍ في اليَومِ الواحِدِ.



كَكُلِّ الدَّلافينِ، يَتَأَثَّرُ قاروريُّ الأَنفِ بِاللَّمسِ، وَيَعشَقُ المُداعَبَةَ!

صَغيرٌ مُدَلَّلٌ

عِندَما يَحينُ مَوسِمُ التَّزاوُجِ، يَبتَعِدُ الشَّريكانِ قَليلًا عَنِ المَجموعَةِ لِيَتَمَكَّنا مِنَ الشُّعورِ بِالارتِياحِ. وَغالِبًا ما يَكونُ الذَّكَرُ هُوَ الَّذي يَحُثُّ الأُنثى عَلى الابتِعادِ. فَيَقومُ إذّاكَ بِالدَّورانِ عَلى ذَيلِهِ، أَو بِقَفزاتٍ أَو بِحَرَكاتٍ بَهلَوانِيَّةٍ أُخرى. إذا أَثارَ إعجابَها، تَستَجيبُ فَتَقومُ بِالمِثلِ، وَهكَذا يَتَشَكَّلُ الثُّنائِيُّ الجَديدُ.



لا شَيءَ يُضاهي دَهشَةَ النّاظِرِ، عِندَما يَتَعَلَّقُ الأَمرُ بِإغواءِ الآخَرِ!

خِلالَ أَسابيعَ طَويلَةٍ، لا يَفتَرِقُ العاشِقانِ قَيدَ أُنمُلَةٍ. فَهُما يَسبَحانِ جَنبًا إلى جَنبٍ، وَيَتَلامَسانِ، وَيَتَداعَبانِ، وَعِندَما يَزدادُ تَعارُفُهُما، يَلعَبانِ مَعًا، فَيَدورُ بَعضُهُما حَولَ بَعضٍ، وَيَعَضُّ أَحَدُهُما الآخَرَ بِرِفقٍ. بِاختِصارٍ، إنَّهُ الحُبُّ الكَبيرُ!

بَعدَ عامٍ مِنَ الحَملِ، تَلِدُ الأُنثى فَرخًا واحِدًا، وَعُمومًا خِلالَ أَشهُرِ الصَّيفِ. يَبلُغُ طولُ الصَّغيرِ حَوالى مِترٍ واحِدٍ وَيَزِنُ 30 كغ تَقريبًا. وَبِمُناسَبَةِ الوِلادَةِ، يَستَأنِفُ التَّعاوُنُ سَيرَهُ،

فَما إن يَخرُجُ الصَّغيرُ مِن بَطنِ أُمِّه، حَتّى تَقودَهُ الإناثُ الأُخرى في المَجموعَةِ بِهُدوءٍ إلى سَطحِ الماءِ لِتُعَلِّمَهُ التَّنَفُّسَ.

في المَرحَلَةِ الأُولى مِن حَياتِه، يُمضي الدُّلفينُ الصَّغيرُ وَقتَهُ كُلَّهُ مَعَ أُمِّه. وَهيَ تُرضِعُهُ خِلالَ عامٍ، وَأَحيانًا خِلالَ عِدَّةِ أَعوامٍ، وَهكَذا، يَكبُرُ الصَّغيرُ سَريعًا جِدًّا. وَلكِنَّهُ لا يُفارِقُ أُمَّهُ، حَتّى عِندَما يَبلُغُ طولُهُ مِترَينِ. فَفي أَغلَبِ الأَحيانِ، يَسبَحُ بِقُربِها، جَنبًا إلى جَنبٍ، وَعِندَما تَذهَبُ إلى الصَّيدِ، فَإنَّ الإناثَ الأُخرى هِيَ الَّتي تَحُلُّ مَحَلَّها!

بَعدَ سَنَتَينِ أَو ثَلاثٍ، قَد تَلِدُ الأُمُّ صَغيرًا آخَرَ. وَيَكونُ الأَوَّلُ قَد تَعَلَّمَ إذًا تَدبيرَ أُمورِهِ بِنَفسِهِ وَلا يَعودُ في حاجَةٍ إلَيها كَالسّابِقِ.



يَشرَبُ قاروريُّ الأَنفِ الرَّضيعُ أَكثَرَ مِن 3 لِتراتِ حَليبٍ يَومِيًّا.



يَحتاجُ قاروريُّ الأَنفِ إلى حَوالَى 10 سَنَواتٍ لِكَي يُصبِحَ بِطولٍ بالِغٍ.

إنَّ الأُمَّ هِيَ الَّتي تُعَلِّمُ صِغارَها إصدارَ أَصواتٍ تَسمَحُ لَها بِالتَّواصُلِ. ←



صَداقَةٌ فَطِرَةٌ

بِطَبيعَتِهِ الفُضوليَّةِ، دائِمًا ما سَعى الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ إلى الاتِّصالِ بالإنسانِ، الَّذي مِن جِهَتِهِ شَعَرَ بِرابِطٍ مُتَبادَلٍ. لِسوءِ الحَظِّ، أَساءَت هذِهِ الصَّداقَةُ إلى الدُّلفينِ أَكثَرَ مِمّا أَفادَتهُ.

مُنذُ مُنتَصَفِ القَرنِ الماضي، يَعتَقِلُ الإنسانُ دَلافينَ قاروريَّةَ الأَنفِ لِيَضَعَها في أَحواضٍ كَبيرَةٍ لِلمائيّاتِ، حَيثُ بِاستِطاعَةِ الجَميعِ أَن يَأتِيَ لِرُؤيَتِها. وَهيَ تَتَعَلَّمُ القِيامَ بِأَدوارٍ وَتُدَرَّبُ عَلى عُروضٍ تُبهِجُ الأَطفالَ وَالكِبارَ. ولكِنَّ الدَّلافينَ المَحرومَةَ مِن حُرِّيَّتِها تَشعُرُ بِالبُؤسِ الشَّديدِ. وَبَعيدَةً عَنِ المَجموعَةِ، تَفقُدُ جَميعًا القُدرَةَ عَلى الاستِدلالِ وَمُتعَةَ العَيشِ. رَقمٌ واحِدٌ يَشهَدُ عَلى ذلِكَ، فَبَينَما يَستَطيعُ قاروريُّ الأَنفِ في البَحرِ أَن يَعيشَ حَتّى 50 عامًا، فَهوَ يَكادُ لا يَتَجاوَزُ في الأَسرِ الـ 5 سَنَواتٍ...



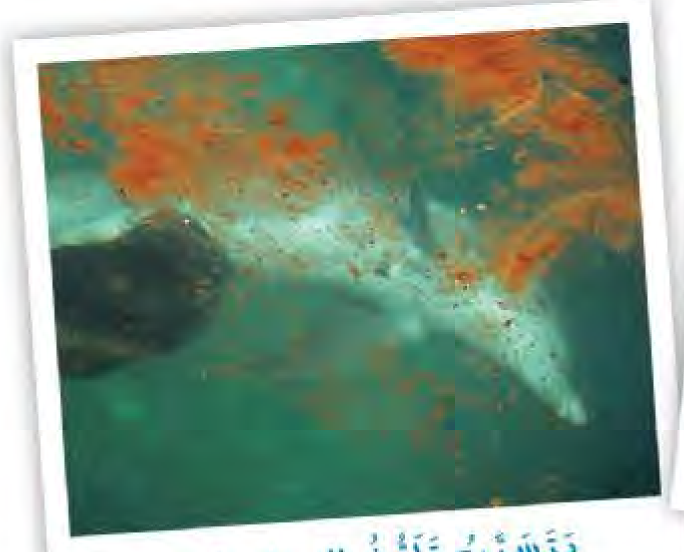
يَمنَحُ هذِهِ الدَّلافينِ البَرِّيَّةِ الطَّعامَ، يَستَطيعُ السُّيّاحُ الإعجابَ بِها مِن دونِ أَن تُحجَزَ حُرِّيَّتُها.

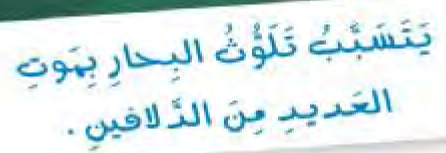
أَحيانًا، بِإمكانِ الحُضورِ السّاحِرِ لِقاروريِّ الأَنفِ أَن يُفيدَ جِدًّا وَلَدًا مَريضًا. ←





لِأَسبابٍ ما زالَت مَجهولَةً، قَد يَنفَصِلُ قاروريُّ الأَنفِ عَن مَجموعَتِهِ، وَيَختارُ العَيشَ قَريبًا مِنَ الإنسانِ.





يَتَسَبَّبُ تَلَوُّثُ البِحارِ بِمَوتِ العَديدِ مِنَ الدَّلافينِ.



فَضلًا عَن ذلِكَ، وَنَظرًا لِمَعرِفَةِ الإنسانِ بِذَكاءِ الحَيَوانِ، فَهِمَ سَريعًا أَنَّهُ يَستَطيعُ تَحويلَهُ إلى جُندِيٍّ. فَدَرَّبَهُ عَلى القِيامِ بِمُهِمّاتِ تَجَسُّسٍ، وَالكَشفِ عَن وُجودِ غَوّاصاتٍ، وَتَحديدِ مَواضِعِ أَلغامٍ تُهَدِّدُ البَواخِرَ. كَما دَرَّبَهُ أَحيانًا عَلى القَتلِ...

وَكَأَنَّ ذلِكَ لَم يَكُنْ كافِيًا، فَقَد تَمَّ صَيدُ الدُّلفينِ في المُحيطاتِ كُلِّها، رَغبَةً في لَحمِهِ الصّالِحِ لِلأَكلِ وَفي جِلدِهِ لِصِناعَةِ الجِلدِيّاتِ.

لِحُسنِ الحَظِّ، مُنذُ بِضعَةِ عُقودٍ، تَتَحَسَّنُ الأَشياءُ قَليلًا. فَالأوروبِّيّونَ وَالأَمريكِيّونَ وَقَّعوا عَلى مُعاهَداتٍ تَمنَعُ قَتلَ الدَّلافينِ وَأَسرَها. وَلكِن، مَتى تَحذو الشُّعوبُ كُلُّها حَذوَهُم؟

قِصَّةٌ قَديمَةٌ كَالعالَمِ

على الرَّغمِ مِن أَنَّ الإنسانَ أَضَرَّ كثيرًا بِالدُّلفينِ قاروريِّ الأَنفِ، فَقَدِ اعتَبَرَهُ دائِمًا حَيوانًا استِثنائِيًّا.

في اليونانِ، في العُصورِ القَديمَةِ، كانَ صَديقَ الجِنسِ البَشَرِيِّ، فَقَد قيلَ إنَّهُ كانَ يُساعِدُ البَحّارَةَ التّائِهينَ على إيجادِ طَريقِهِم في العاصِفَةِ، وَكانَ فَألَ خَيرٍ إذا ما سَبَحَ قُربَ البَواخِرِ. وَفي الخُرافاتِ وَالأَساطيرِ القَديمَةِ، كانَتِ الآلِهَةُ تَتَّخِذُ شَكلَهُ لإتمامِ الصّالِحاتِ، وَأَكثَرَ مِن مَرَّةٍ، أَنقَذَ أَبطالًا مِنَ الغَرَقِ.

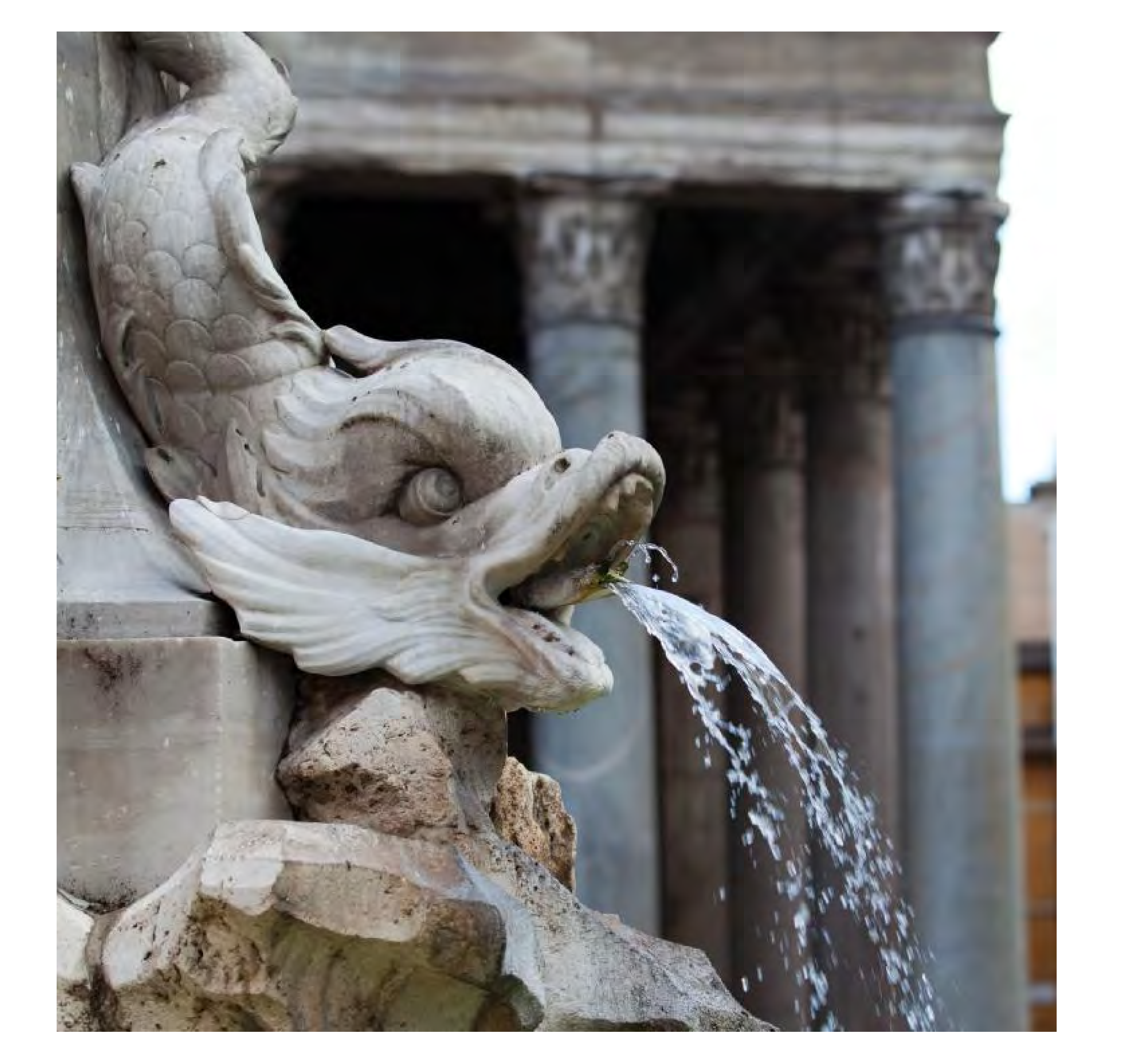
في فَرَنسا، اعتُبِرَ باكِرًا جِدًّا حَيوانًا مُفعَمًا بِالنُّبلِ. فَفي القَرنِ 12، مَنَحَ اسمَهُ لِمَنطِقَةٍ مِنَ المَملَكَةِ، الـ «دوفينه»، حَيثُ دُعِيَ المُلوكُ أَنفُسُهُم بِـ «دَلافينَ». بَعدَ قَرنٍ، أَصبَحَ هذا الاسمُ يَعودُ لِوَلِيِّ العَهدِ، وَهذا ما جَعَلَ الدُّلفينَ حَيوانًا مَلَكِيًّا.



غالِبًا ما يَظهَرُ الدُّلفينُ عَلى فُسَيفُسائِيّاتِ روما القَديمَةِ.



وَيَظهَرُ حَتمًا عَلى عَلَمِ دوفينِه.





في الأَفلامِ الَّتي أَوحَت بِالمُسَلسَلِ، كانَ فْليپر بِالطَّبعِ أَفضَلَ صَديقٍ لِلأَطفالِ.

مُتَحلِّيًا بِكُلِّ هذِهِ الهَيبَةِ، ظَهَرَ بِكَثرَةٍ في الفُنونِ التَّزيينِيَّةِ. وَبِصورَةِ سَمَكَةٍ جِسمُها مُتَمَوِّجٌ وَفَمُها مُفتوحٌ، جُسِّدَ في كُلِّ مَكانٍ: عَلى الأَبنِيَةِ، وَالمَنحوتاتِ، وَالأَثاثِ، وَالفِضِّيّاتِ.

أَخيرًا، فَرَضَ نَفسَهُ عَلى عامَّةِ النّاسِ بِالظُّهورِ عَلى شاشاتِ التَّلفَزَةِ: فَالمُسَلسَلُ التِّلِفِزيونِيُّ «الدُّلفينُ فْليپر»، الَّذي أُعِدَّ في العامِ 1964، يَعرِضُ مُغامَراتِ دُلفينٍ قارورِيِّ الأَنفِ مُستَعِدٌّ دائِمًا لِمُساعَدَةِ النّاسِ!

لِأَنَّهُ رَمزٌ واضِحٌ لِلماءِ، وُضِعَ عَلى العَديدِ مِنَ اليَنابيعِ، كَالَّذي نَراهُ هُنا في إيطالِيا. ←



تَبايُنٌ كَبيرٌ بَينَ الإِخوَةِ وَالأَخَواتِ

تَشتَمِلُ الدُّلفينِيّاتُ الَّتي يَنتَمي إِلَيها قاروريُّ الأَنفِ، عَلى حَوالى ثَلاثينَ عُضوًا تَتَمَتَّعُ بِهَيئاتٍ وَعاداتٍ فَريدَةٍ أَحيانًا. نَجِدُ بَعضَها في عُرضِ البَحرِ، وَالبَعضَ الآخَرَ قُربَ الشَّواطِئِ، وَفي الغالِبِ، هِيَ لا تَأكُلُ أَبَدًا الأَشياءَ نَفسَها. وَسطَ هَذِهِ العائِلَةِ الكَبيرَةِ، تَتَمَيَّزُ بَعضُ الأَسماءِ.



الدُّلفينُ الشّائِعُ

هُوَ الَّذي تَحَدَّثَ عَنهُ اليونانُ في الأَساطيرِ القَديمَةِ. اليَومَ، نَجِدُهُ في البَحرِ المُتَوَسِّطِ، وَفي كُلِّ البِحارِ الاستِوائِيَّةِ وَالمُعتَدِلَةِ. فَلَيسَ مَكانُ عَيشِهِ هُوَ المُهِمَّ بِالنِّسبَةِ إِلَيهِ، بَلِ الغِذاءُ: سَردينٌ، بَلَمٌ وَأَسماكٌ أُخرى مُهاجِرَةٌ، يَتبَعُ تَنَقُّلاتِها مَسافاتٍ بَعيدَةً. إِنَّهُ اجتِماعِيٌّ لِلغايَةِ، يَنضَمُّ إِلى مَجموعاتٍ تَحتَوي مِئاتٍ عَديدَةً مِنَ الأَعضاءِ الَّتي تَعشَقُ اللَّهوَ. وَهَذا الحُبُّ القَوِيُّ لِلَّعِبِ يَسمَحُ بِمَعرِفَتِهِ. وَمِن سِماتِهِ الخاصَّةِ أَيضًا لَونُ جِلدِهِ، فَالرَّسمُ الَّذي يُزَيِّنُ جانِبَيهِ يُشبِهُ ساعَةً رَملِيَّةً.

الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ لا يَرفُضُ اللِّقاءاتِ بَينَ أَفرادِ العائِلَةِ، فَهوَ هُنا مَعَ نَوعٍ استِوائِيٍّ مِنَ الدُّلفينِيّاتِ. ←

دُلفين ريشو Risso



خِلافًا للدُّلفينِ السّابِقِ، هُوَ قليلُ الاختِلاطِ، غالِبًا ما يَسبَحُ وَحدَهُ أو مَعَ شَريكَتِهِ. يَعيشُ في عُرضِ البَحرِ، وَفي المِياهِ العَميقَةِ، وَيَغتَذي خُصوصًا بِالرَّخوِيّاتِ رَأسِيّاتِ الأَرجُلِ، لِأَنَّ أَسنانَهُ غَيرُ مُعَدَّةٍ لالتِقاطِ الأَسماكِ بِصورَةٍ جَيِّدَةٍ. بِطَبيعَتِهِ الَّتي تَميلُ إلى الخَجَلِ، قَلَّما يَقتَرِبُ مِنَ الإنسانِ. وَلكِنَّنا نَستَطيعُ أَن نَعرِفَهُ وَإن كانَ بَعيدًا، فَرَأسُهُ غَليظٌ جِدًّا وَجِسمُهُ مُغَطًّى بِشُطوبٍ تَبدو بَيضاءَ اللَّونِ. إنَّها نُدوبٌ تَسَبَّبَت بِها شِجاراتٌ قَديمَةٌ، لِأَنَّ هذا الحَيَوانَ مُحِبٌّ لِلشِّجارِ!

الأوركا Orque أو الحوت القاتل



مَعَ حُلَّتِهِ السَّوداءِ والبَيضاءِ، يَسهُلُ تَمييزُهُ مِن بَينِ الدَّلافينِ، لا سِيَّما أَنَّهُ أَكبَرُها حَجمًا: قَد يَبلُغُ طولُ الأوركا البالِغِ تِسعَةَ أَمتارٍ. وَهذا الحَجمُ يَسمَحُ لَهُ بِأَلّا يَخشى أَحَدًا. وَفي البَحرِ، هُوَ الَّذي يَسُنُّ القَوانينَ، فيما يَغتَذي بِالسَّمَكِ وَالحَبّارِ وَالفُقَمِ وَحَتّى بِالطُّيورِ البَحرِيَّةِ. وَعلى الرَّغمِ مِن مَظهَرِهِ المَهيبِ، فَهوَ حَيَوانٌ حَسّاسٌ يَحتاجُ إلى أَبناءِ جِنسِهِ لِلاستِمرارِ. وَإذا حُرِمَ حُضورَها، فَلا يَلبَثُ أَن يَموتَ... يُمكِنُنا أَن نَجِدَهُ في المُحيطاتِ كُلِّها، يَسبَحُ في مَجموعاتٍ، في كُلٍّ مِنها عِشرونَ عُضوًا تَقريبًا. غَيرَ أَنَّهُ يُحِبُّ خُصوصًا المِياهَ البارِدَةَ.

الدُّلفينُ الأزرقُ والأبيض



نظرًا لما يتمتَّعُ بهِ من جسمٍ نحيفٍ ومرنٍ، يُعدُّ الدُّلفينُ الأزرقُ والأبيضُ بهلوانَ البحارِ. ما إن يرى باخرةً حتّى يهرعَ لِلقائها متلوِّيًا بينَ الأمواجِ، ويبدأَ السِّباحةَ على الظَّهرِ، ويقومَ بقفزاتٍ تصلُ أحيانًا إلى ارتفاعِ سبعةِ أمتارٍ. أمّا من حيثُ الشَّكلُ، فهوَ يُشبهُ الدُّلفينَ الشّائعَ قليلًا، ولكنَّ الخطوطَ الَّتي تبدو على جسمِهِ، تسمحُ بتمييزِهِ منهُ. يُحبُّ هذا الحيوانُ خصوصًا البحارَ الدّافئةَ ويُقيمُ طوعًا في عُرضِ البحرِ. فهُناك، يصطادُ الأسماكَ الّتي يغتذي بها. وفي غضونِ ذلكَ، ينزلُ أحيانًا إلى عُمقِ أكثرَ من ألفِ مترٍ!

السّتينو Sténo



يُدعى أيضًا بالدُّلفينِ ضيِّقِ المنقارِ، ولهذا النَّوعِ وجهٌ مُختلفٌ، فمعَ جبينِهِ المُسطَّحِ ورأسِهِ الممشوقِ وعينَيهِ الكبيرتَينِ، يبدو أشبهَ بالزَّواحفِ. ليسَ منَ السَّهلِ رؤيتُهُ لأنَّ جسمَهُ الدّاكنَ يُخالطُ سطحَ الموجِ ويستطيعُ البقاءَ طويلًا تحتَ الماءِ. نجدُهُ خصوصًا في عُرضِ البحرِ، وفي المياهِ العميقةِ، حيثُ يسبحُ في مجموعاتٍ صغيرةٍ. إلّا أنَّهُ يُحبُّ الرِّفقةَ، فعندما يُشاهِدُ باخرةً، غالبًا ما يبدو في سِباقٍ معها، وحينما يتنقَّلُ تحتَ الماءِ، يُحبُّ أن يكونَ مُحاطًا بأسرابٍ منَ الأسماكِ.



المَنفَسُ الَّذي يَتَنَفَّسُ مِنهُ الدُّلفينُ قاروريُّ الأَنفِ، يَنغَلِقُ عِندَما يَغطِسُ لِئَلّا يَدخُلَ الماءُ في مِنخَرِهِ.



الأُذُنُ هِيَ نُقطَةٌ تَكادُ لا تُرى، وَتَقَعُ خَلفَ العَينِ.

بِطاقَةُ تَعريفٍ

الفَصيلَةُ: دُلفينيّاتٌ

الرُّتبَةُ: حوتيّاتٌ

الصَّفُّ: ثَدييّاتٌ

المَسكَنُ: في الغالِبِ، قُربَ الشَّواطِئِ

الانتِشارُ: كُلُّ البِحارِ ما عَدا التّابِعَةَ لِلقُطبَينِ الجَنوبِيِّ وَالشَّمالِيِّ

فَترَةُ الحَملِ: 12 شَهرًا

عَدَدُ الأَجِنَّةِ في كُلِّ حَملٍ: واحِدٌ

الطّولُ: مِن 2 إلى 4 أَمتارٍ

الوَزنُ: مِن 150 إلى 650 كغ

نِظامُ الاغتِذاءِ: أَسماكُ أَعماقِ أَرجاءِ الشَّواطِئِ، رَأسِيّاتُ الأَرجُلِ، القِشرِيّاتُ

العُمرُ التَّقريبيُّ: 50 عامًا




الزَّعنَفَةُ الظَّهرِيَّةُ تَجعَلُ سِباحَتَهُ مُتَّزِنَةً.
إنَّ حَرَكاتِ الزَّعنَفَةِ الذَّيلِيَّةِ هِيَ الَّتي تَسمَحُ لِلدُّلفينِ بِالتَّقَدُّمِ.
جِلدُ الظَّهرِ وَالجانِبَينِ رَمادِيٌّ داكِنٌ، وَلكِنَّ جِلدَ البَطنِ أَفتَحُ.
الزَّعنَفَتانِ الصَّدرِيَّتانِ تَسمَحانِ لِلدُّلفينِ بِتَغييرِ اتِّجاهِهِ بِسُرعَةٍ وَهوَ يُلاحِقُ طَريدَتَهُ.



طُبِع هذا الكتاب في لبنان لدى مطابع ببيلوس برينتنغ.
© **سمير** دار نشر 2015
سنّ الفيل، الجسر الواطي، ص. ب. 55542 بيروت، لبنان
ISBN 978-9953-31-505-8

Crédits photographiques
iStock, Thinkstock, Shutterstock, Dreamstime, Bigstock, 123rf
p. 6 : © Konrad Wothe/LOOK/Getty Images - p. 7 : © Science Source/Richard Ellis/Diomedia - p. 8 : © Robert Harding Specialist Stock/Corbis/ArabianEye.com - p. 9 : © Nature PL/Pedro Narra/Diomedia - p. 10 (g) : © Nature PL/Brandon Cole/Diomedia - p. 10 (d) : © E.A. Janes/age footstock/Getty Images - p. 11 : © Specialist Stock RM/Anthony Pierce/Diomedia - p. 12 : © Biosphoto/Jeffrey Rotman/Diomedia - p. 14 (g) : © imagebroker RM/J.W.Alker/Diomedia - p. 16 (h) : © Ardea/Diomedia - p. 16 (b) : © Evolve/Diomedia - p. 18 : © HEMIS/DESCAMPS Simon/Diomedia - p. 19 : © Jeffrey Rotman/Corbis/ArabianEye.com - p. 20 (g) : © FLPA/Terry Whittaker/Diomedia - p. 20 (d) : © Nature/UIG/Universal Images Group/Getty Images - p. 23 : Prod DB © MGM T.V/DR - p. 24 : © Robert Harding/Michael Nolan/Diomedia - p. 26 : © Specialist Stock RM/Danny Frank/Diomedia - p. 27 (h) : © Biosphoto/Frédéric Larrey/Diomedia - p. 27 (b) : © Specialist Stock RM/Masa Ushioda/Diomedia - p. 28 : © Science Source/F. Stuart Westmorland/Diomedia - p. 30 : © Steve Bloom Images/Steve Bloom/Diomedia



...فجأةً، سمِعَ أَحدُهُم يصرُخُ: «تَعالَوا انظُروا!». وَعَلى الفَورِ، هَرَعَ الجَميعُ، وَالقُلوبُ تَخفُقُ، إلى مُقدَّمَةِ المَركَبِ: كانَ قَوامٌ رَمادِيٌّ يَتزَحلَقُ عَلى المَوجِ بِأَناقَةٍ وَقُوَّةٍ؛ كانَ يَقفِزُ وَيَرفَعُ ذَيلَهُ وَيُسابِقُ المَركَبَ، فَأَثارَ ذلِكَ ذُهولَ الأَولادِ، وَسُرعانَ ما غابَتِ المَدرَسَةُ عَنِ الأَذهانِ... أَخرَجَ الدُّلفينُ رَأسَهُ مِنَ الماءِ وَاستَدارَ نَحوَهُم. كانَ فَمُهُ المَمدودُ يوحي بِأَنَّهُ يَبتَسِمُ. تَبادَلَ وَالأَولادَ النَّظَراتِ، وَيَبدو أَنَّهُم تَفاهَموا مَعًا. ثُمَّ ذَهَبَ يَنضَمُّ إلى قَطيعِهِ، تارِكًا في ذاكِرَةِ الصِّغارِ ذِكرى لَن يَنسَوها بِسُهولَةٍ.





www.samirediteur.com

ISBN 978-9953-31-505-8

